السنة الثالثة والثلاثون بعد المئتين

[وفيها غضب المتوكِّل على محمَّد بن عبد الملك الزيَّات، وعذَّبه حتى مات، وسنذكر قصته في موضعها.

و] فيها كانت زلزلةٌ عظيمةٌ، [ذكر الحافظُ ابن عساكر في كتاب «الزلازل» وقال: زلزلت دمشق يوم الخميس ضحًى،][1] لإحدى عشرة ليلة خَلَت من ربيع [الآخر][2] سنة ثلاثٍ وثلاثين ومئتين في خلافة المتوكِّل، ذكرها أحمد بن أبي طاهر قال:] جاءت الناس وهم غارُّون، فقطعتْ ربعاً من الجامع بدمشق، وتزايلتِ الحجارةُ العظامُ عن تركيبها، وسقطت شرفُ الجامع، وانصدعَ طَاقُ القبَّة ممَّا يلي المحراب، ووقعت منارةٌ من المسجد، وسقطت القناطرُ والمنازلُ، فهلكَ خلقٌ عظيمٌ، وامتدَّت في الغوطة، فأتت على داريَّا والمزَّة وبيت لِهْيا وغيرها، وخرجَ الناسُ إلى المصلَّى، واشتغلُوا بالبكاء والدعاء والتضرُّع والاستغفار إلى قريب نصف النهار، فسكنتِ الدُّنيا.

[قال ابن عساكر: وذكر] القاضي[3] أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة [الرُّهاوي][4] هذه الزلزلة] في «تاريخه» [وقال:] إنَّ بعضَ أهل دير مُرَّان رأى دمشق ترتفعُ وتنخفضُ مراراً، فماتَ تحت الهدم معظمُ أهلها، و[قال ابن كامل:] وهرب النساء والصبيان ومن بقيَ من الرجال [والنساء وأهل الأسواق] إلى مصلَّى العيد؛ يبكُون ويتضرَّعُون إلى وقت المغرب [والعشاء]، فسكنت الدُّنيا، فعادوا يُخرِجونَ موتاهم من تحت الهدم، ويدفنونهم، وانكفأت قريةٌ بالغوطة فلم ينجُ من أهلها إلَّا رجلٌ واحدٌ. [قال:] وأصابَ أهل البَلْقاء [مثل ما أصاب أهل دمشق][5]، وكانت الحيطانُ تنفصلُ حجارتُها [عن البعض]، وعَرْضُ الحائط سبعةُ أذرع، ثم امتدَّت إلى أنطاكية،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، ومكانها في (خ) و(ف): بدمشق ضحى يوم الخميس.

(٢) في (خ) و(ف): الأول، والمثبت من (ب) والمنتظم ١١/ ١٨٩ . وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال القاضي...

(٤) كذا في (ب)، وما بين حاصرتين منها ـ ولم أقف على من نسبه: الرهاوي.

(٥) مابين حاصرتين من (ب)، ومكانها في (خ) و(ف): كذلك.

فهدمتها وخربتها، وامتدّت إلى بلاد الجزيرة والموصل وغيرها، فيقال: [إنه] هلك من أهلها خمسون ألفاً، ومن أهل أنطاكية عشرون ألفاً[١].

[فصل وفيها مرض ابن أبي دؤاد]، في جمادى الآخرة، [أصابه][٢] فالجٌ عظيمٌ ألقاه كالحجر [الملقى].

وفي رمضان ولّى المتوكلُ ابنَه المنتصر الحرمين والطائف يومَ الخميس لإحدى عشرة ليلةً خلتْ منه.

وفي رمضان عزلَ المتوكّلُ الفضلَ بن مروان عن ديوان الخراج، وولّاه ليحيى بن خاقان.

و[في رمضان][٣] غضبَ المتوكّلُ على عمر بن الفرج الرُّخَّجيّ واستصفاه[٤].

قال الطبريُّ: دُفِعَ إلى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، فحبس في منزله، واستولى على ضياعه، وصار نجاحُ بن سَلَمة[٥] إلى منزله، فلم يجد فيه إلّا خمسةَ عشر ألف درهم، وقبض مسرورٌ جواريه وفرسه، وقُيِّدَ عمر بثلاثين رطلاً من الحديد، وأُحضِر مولاه نصر من بغداد، فحمل ثلاثين ألف دينار، وكان لعمر بالأهوازِ أربعون ألف دينار، ولأخيه محمد بن الفرج مئةٌ وخمسونَ ألف دينار، وحُمِل من داره من المتاع ستةَ عشر بعيراً، ومن الجواهر ما قيمته أربعون ألف دينار، [وأُلْبِسَ][٦] جبَّةَ صوف وقُيِّدَ، فأقام سبعةَ أيّام [وأخذ عياله ففتّشُوا، وكنَّ مئة جارية][٧]، ثمَّ صُولِح على أخذ عشرة

(١) انظر المنتظم ١/ ١٨٩-١٩٠.

(٢) في (خ) و(ف): أصاب ابن أبي دؤاد. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ) و(ف): وفيه. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٤) كذا في (خ) و(ف)و(ب). وفي النجوم الزاهرة ٢/ ٢٧١ : وصادره.

وبعدها في (ب): والله أعلم بالصواب، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

السنة الرابعة والثلاثون بعد المئتين.

(٥) تحرفت في (خ) و(ف) إلى: مسلمة. والمثبت من المصادر.

(٦) في (خ) و(ف): بياض، واستدركته من نسخة في هامش تاريخ الطبري ٩/ ١٦١ ، ومن المنتظم ١١/ ١٩١ ، وفي تاريخ الطبري: وألبس فَرَجيَّة صوف...

(٧) في (خ) و(ف) بياض، استدركته من تاريخ الطبري.

آلاف ألف درهم، على أن يُرَدَّ ضياعهُ عليه بالأهواز، وأطلقَ، فقال عليُّ بن الجهم: [من البسيط]

أبلغ نَجَاحاً فتى الكتَّاب مألُكَةً تمضي بها الريحُ إصداراً وإيرادا
لا يَخرجُ المال عفواً من يَدَي عمر ويغمدُ السيفُ في فوديه إغْمادَا
الرُّخَّجيُّون لا يُوفون ما وعدوا والرُّخَّجيَّات لا يُخلِفْنَ ميعادَا[1]

وقال عليُّ بن الجهم أيضاً: [من البسيط]

جمعتَ أمرينِ ضاعَ الحزمُ بينهما تيهَ الملوكِ وأفعالَ المماليك
أردتَ شكراً بلا برٍّ ومَرْزِئةٍ لقد سَلَكْتَ طريقاً غيرَ مسلوكِ[2]

وقال القاضي التنوخيُّ: كان محمد بن منصور يتقلَّد القضاءَ بكور الأهواز، وعمر الرُّخَّجيُّ على الأموال والولايات، وكانا يتنافسان[3] في المرتبة، فلا يركبُ القاضي إلى الرُّخَّجيّ حتى يأتيه، ويتشاحنان[4] على التعظيم، فولدت بينهما عداوة، وكان الرُّخَّجيّ يكتبُ إلى المتوكِّل في القاضي، فلا يلتفتُ إليه، ويبلغُ ذلك القاضي فلا يحتفلُ به،[ويظهر الزيادة في التعاظم عليه.

فلمَّا] كان في بعض الأوقات وردَ كتابُ المتوكِّل [على الرُّخَّجيّ يأمره][5] بأمرٍ في معنى الخراج، وأن يجتمع بمحمد بن منصور القاضي، ولا ينفرد به دونه.

وقَدِم بالكتاب خادمٌ من خدم السلطان، فأنفذ الرُّخَّجيّ إلى القاضي فأخبره الخبر، وقال: نصير إلى ديوان الخراج لنجتمع فيه على امتثال الأمر، فقال القاضي: لا، ولكن تحضرُ أنتَ إلى الجامع، فنجتمع فيه، فأبى الرُّخَّجيُّ، وتردَّدَ الكلام بينهما، إلى أن قال الرُّخَّجيُّ للخادم: ارجع إلى أمير المؤمنين وأخبره بأنَّ قاضيه يريدُ إيقاف الأمر.

فبلغه الخبر، فركب ومعه الشهود إلى الديوان والرُّخَّجيُّ قاعدٌ في الدست، وكتابُه

(١) ديوان علي بن الجهم ص١٢٤ (تكملة).
(٢) تاريخ الطبري ٩/ ١٦١-١٦٢ ، والأبيات في ديوان علي بن الجهم ص١٦١ (تكملة).
(٣) في نشوار المحاضرة ٢/ ١٢ ، والمنتظم ١١/ ١٩٢ : يتوازيان.
(٤) كذا في (خ) و(ف)، وفي نشوار المحاضرة والمنتظم: ويتشاحان.
(٥) في (خ) بياض. واستدركته من نشوار المحاضرة.

بين يديه، فقام الكلُّ إلا الرُّخَّجيّ، فعدل القاضي إلى آخر البساط، وطواه وجلس على بارية[١]، وحفَّ به شهوده، وجاء الخادمُ فجلسَ عند القاضي وأراه الكتاب، فلم يزل[٢] الرُّخَّجيّ يخاطبُ القاضي، وبينهما مسافة حتى بلغا الأمر[٣]، فقال الرُّخَّجيّ للقاضي: يا أبا جعفر، ما هذه الجبريَّة، ما تزال تتولَّع بي وتُقَدِّر أنَّك عند الخليفة مثلي، أو أنَّ محلَّك يوازي محلي، والخليفة لا يضربُ على يدي في أمواله التي بها قوام دولته، ولقد أخذتُ من أمواله ألفَ ألف دينار، وألفَ ألف دينار، وألف ألف دينار[٤]، فما سألني عنها، وإنَّما أنت إليك أن تُحَلِّفَ مُنْكِراً على حقّ، وأن تفرضَ لامرأةٍ على زوجِها، أو تحبسَ من أداء حقٍّ. وأبو جعفر يعدِّد ما ذكرَه الرُّخَّجيّ بيده، ويكشفُها ليراها الناس، فلمَّا سكتَ الرُّخَّجيّ قال القاضي لبعض الوكلاء: وقد سمعت ما جرى، وقد وكَّلتُك لأميرِ المؤمنين على هذا في مطالبته بما أقرَّ على نفسِه. فقال الوكيل: إن رأى القاضي أن يحكم بهذا المال ويكتب به سجلاً. قال: نعم، عليَّ بدواةٍ، وكتبَ السجلّ، وأثبتَه بشهادةِ الشهود، وحكم به عليه.

ونهض القاضي والكتابُ بيده، والرُّخَّجيّ يهزأُ به، والقاضي يقول: سوف ترى.

وكتب صاحبُ الخبر إلى المتوكِّل بما جرى، فأحضر وزيرَه وقال: أنا منذُ زمانٍ أقول لك حاسب هذا الخائن الرُّخَّجيَّ، وأنت تدافعُ، حتى حفظ الله علينا أموالنا بقاضينا محمد بن منصور، ورَمى إليه بكتابِ صاحب الخبر، ثمَّ قال له: اكتب الساعةَ بالقبضِ على الرُّخَّجيّ.

فخرج الوزير وهو قلقٌ، لعنايته بالرُّخَّجيّ، وقال لكاتبه: اكتب إليه، وقل له: يا مشؤوم، ما الذي دعاك إلى معاداة القضاة؟ وأنت مقتول إن لم تتلافَ أمرك مع القاضي.

---

(١) الباريُّ والبارياء: الحصير المنسوج. لسان العرب (برى). وقال محقق نشوار المحاضرة: البارية: الحصير المنسوج من القصب، ولم يزل هذا اسمها في بغداد.

(٢) ليست في (ف). وفي (خ): يكن. والمثبت من المصادر.

(٣) في نشوار المحاضرة والمنتظم: حتى فرغا من الأمر.

(٤) بعدها في نشوار المحاضرة ٢/ ١٤ : وألف ألف دينار. أي مرة رابعة.

فجاء الرَّخَجيُّ إلى القاضي، فحجبه، فرجعَ خجلاً، فاحتال حتى دخل بالليل مع بعض خواصِّ القاضي عليه، فصاح عليه القاضي: اخرج من داري، فأكبَّ على رأس القاضي فقبَّله وبكى، فقام إليه القاضي فاعتنقه، وبكى وقال: عزيزٌ عليَّ، ولا حيلة لي، فقد نفذ الحكمُ، فنهضَ الرَّخَجيُّ، فنفذ القاضي [بمن قبض عليه][1]، فكتب عليه، ونصبَ وكيلاً، فباع أمواله وأملاكه، وحملَ ثمنها إلى بيت المال[2].

وفيها قَدِمَ يحيى بنُ هَرْثمة ـ وكان والي طريق مكة ـ بعليِّ بن محمد بن عليِّ الرضا من المدينة، وكان قد بلغَ المتوكِّلَ عنه شيء.

وفيها وثبَ ميخائيلُ بن توفيل على أمِّه بدور[3]، فأدخلَها الدير، وشمَّسها، وقتل رجلاً اتَّهمهُ بها، واسمه الغيثط[4]، وكانت مملكتها ستَّ سنين.

وحجَّ بالناس محمدُ بن دواد.

وفيها توفِّي

بُهْلُولُ بن صالح[5]

أبو الحسن التُّجِيْبِيُّ، قدم بغداد، وحَدَّث بها.

ومن رواياته عن ابن عباس رسالة[6] زياد بن أَنْعُم، [عن أبيه][7] قال: يا معاشر قريش، أخبروني عن هذا الكتاب العربي، هل كنتم تكتبونَه قبل أن يُبعثَ محمد ﷺ؟ قال ابنُ عباس: نعم، قلتُ: وعمَّن أخذتموه؟ قال: من حربِ بن أميَّة، قلت: ومن أينَ أخذه ابنُ أميَّة؟ قال: من عبد الله بن جُدْعان، قلت: ومن أين أخذه ابنُ جُدْعان؟ قال: من أهل الأنبار، قلت: ومن أين أخذَه أهلُ الأنبار؟ قال: من طارئٍ طرأَ عليهم

(١) ما بين حاصرتين من المنتظم ١١/ ١٩٤.

(٢) نشوار المحاضرة ٢/ ١٢-١٧.

(٣) في تاريخ الطبري ٩/ ١٦٣: تذورة، وفي الكامل ٧/ ٤٠: تدورة.

(٤) كذا في (خ) و(ف). وفي تاريخ الطبري ٩/ ١٦٣: اللُّغُيط، وفي الكامل ٧/ ٤٠: اللقط.

(٥) رجح ابن ماكولا أن اسمه: بهلول بن عمر بن صالح. انظر بيان الوهم في اسمه في الإكمال ٦/ ٥٣-٥٤.

(٦) كذا في (خ) و(ف) والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٧١.

(٧) ما بين حاصرتين زيادة من المنتظم ١١/ ١٩٦.

من اليمن من كندة، قلت: وممَّن أخذَهُ ذلك الطارئ؟ قال: من خلجان كاتبِ الوحي لهود عليه السلام وهو القائل: [من الطويل]

أفي كلِّ عامٍ سنَّةٌ تُحدِثونَها ... ورأيٌ على غير الطريقِ يغيَّرُ
ولَلْمَوْتُ خيرٌ من حياة يسبُّنا ... بهم جرهم فيمن يَسبُّ وحميرُ

محمد بن سَمَاعة

ابن عبيد الله بن هلال بن وكيع بن بشر، أبو عبد الله القاضي الحنفي التميميّ. ولد سنة ثلاثين ومئة.

وكان إماماً فاضلاً صاحبَ اختياراتٍ في المذهب وروايات، وله المصنَّفاتُ الحسان، وهو من الحفَّاظ الثقات. وولي القضاء ببغداد، فلم يزل إلى أن ضعُفَ نظره فاستعفَى.

وكان يصلِّي كلَّ يوم مئتي ركعةٍ، وقال: مكثتُ أربعين سنة لم تَفُتني التكبيرة الأولى في جماعةٍ إلَّا يوماً واحداً، ماتت فيه أمي، ففاتتني صلاةٌ واحدة، فصلَّيت خمساً وعشرين صلاةً، ولكن كيفَ لي بتأمين الملائكة[1]؟!.

وكانت وفاته في شعبان عن مئةٍ وثلاث سنين، وهو صحيحُ العقلِ والسمع والبصر، لم يتغيَّر عليه حال[2].

حَدَّث عن الليثِ بن سعد وغيره، ورَوى عنه الوشَّاء[3] وغيره، واتَّفقوا على صدقِه وديانته.

محمد بن عبد الملك

ابن أبان بن أبي حمزة الزيَّات، أبو يعقوب[4]، وقيل: أبو جعفر، الوزير، من

(١) في تاريخ بغداد ٣/ ٣٠١ ، والمنتظم ١١/ ١٩٨ ، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٣١٩ وغيرها أنه غلبته عينه فأتاه آتٍ فقال له: يا محمد قد صليت خمساً وعشرين صلاة، ولكن كيف لك بتأمين الملائكة؟!

(٢) انظر الجواهر المضية ٣/ ١٦٩ .

(٣) هو الحسن بن محمد بن عَنْبر الوشاء.

(٤) لم أقف على من كناه بأبي يعقوب سوى ابن الجوزي في المنتظم ١١/ ١٩٨ ، وفي هامشه: في نسخة: أبو جعفر.

جَبُّل[١]، قريةٍ تحتَ بغداد، وكانَ أبوه تاجراً من تجَّار الكرخ المياسير، ويحثُّه على التجارة، فيأبى إلَّا الكتابة، وطلبَها فبرع فيها، ثم شخص إلى الحسن بن سهل، فمدحه فأعطاه عشرةَ آلاف درهم[٢]، ثمَّ اتصلَ بالمعتصمِ فرفَع قدرَه ووسَمه بالوزارة، ثم استوزَره الواثق[٣].

وكان أديباً فاضلاً شاعراً، عالماً بالنحو واللغة، جواداً ممدَّحاً، وله أشعارٌ حِسان، ومن بارع قول البحتريِّ يصفُ بلاغته: [من الخفيف]

بعضَ هذا العتاب والتفنيدِ ... ليسَ ذمُّ الوفاءِ بالمحمودِ
في نظامٍ من البلاغة ما شـ ... ـكَّ امرؤٌ أنَّه نظامُ فريدِ
ومعانٍ لو فصَّلَتْهَا القوافي ... لهجَتْ[٤] شعرَ جَرْولٍ ولبيدِ
حُزْنَ مستعملَ الكلامِ اختياراً ... وتجنَّبنَ ظلمةَ التعقيدِ
وركبنَ اللفظَ القريبَ فأدركْـ ... ـنَ به غايةَ المرام البعيدِ
وترى الخلق مجمعين [على فضـ ... ـلك[٥]] مِنْ بين سيِّدٍ ومَسُودِ
عَرفَ العالمونَ فضلكَ [بالعلـ ... ـم][٦] وقال الجهَّالُ بالتقليدِ
صارمَ العزم حاضر[٧] [الحزم ساري[٨]] الـ ... ـفكرِ ثبتَ المقام [صُلبَ[٩]] العودِ
دقَّ فهماً وجلَّ علماً فأرضَى اللـ ... ـه فينا والواثقَ بنَ الرَّشيدِ
لا يميلُ الهوى به حيثُ يُمْضِي الـ ... ـأمرَ بين المَقْلِيِّ والمودودِ

(١) انظر معجم البلدان ٢/ ٤٥٥ ، والأغاني ٢٣/ ٤٦ ، ووفيات الأعيان ٥/ ٩٤ ، لكن وقع في النجوم الزاهرة ٢/ ٢٧١ : جِيل، ثم قال: قلت: ومنها كان أصل الشيخ عبد القادر الكيلاني!.

(٢) الأغاني ٢٣/ ٤٦ ، والمنتظم ١١/ ١٩٨ .

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٥٩٣ .

(٤) في ديوان البحتري، وتاريخ بغداد ٣/ ٥٩٤ ، وتاريخ دمشق٦٣/ ١٤٧ (طبعة مجمع اللغة): هَجَّنت. بدل: لهجت.

(٥) في (خ) و(ف) بياض، استدركته بين حاصرتين من المصادر.

(٦) في (خ) و(ف) بياض، استدركته بين حاصرتين من المصادر.

(٧) في (خ) و(ف): ظاهراً. والمثبت من المصادر .

(٨) في (خ) و(ف) بياض، استدركته بين حاصرتين من المصادر.

(٩) ما بين حاصرتين من المصادر.

سؤددٌ يُصْطَفى ونَيْلٌ يُرَجَّى وثناءٌ يحيى[١] ومالٌ يُودِي
قد تلقَّيتَ كلَّ يومٍ جديدٍ يا أبا جعفر بمجدٍ جديدِ
وإذا استطرفَتْ سيادةُ قومٍ نلت[٢] بالسؤددِ الطريفِ التليدِ[٣]

وكان ابن الزيات يتعشَّق جارية من جواري القيان، فبيعت من رجلٍ خراسانيٍّ، فسافر بها، فكاد عقل ابن الزيّات يذهب، وقال: [من البسيط]

يا طولَ ساعاتِ ليلِ العاشقِ الدَّنِفِ وطول رَعْيتِه للنَّجم في السَّدَفِ
ماذا تُواري ثيابي من أخي حُرَقٍ كأنَّما الجسمُ منه دِقَّةُ الألفِ
ما قال يا أسفا يعقوبُ من كمدٍ إلَّا لطولِ الذي لاقَى من الأسفِ[٤]

ذكر وفاته:

اتَّفَقَ [لغضب][٥] المتوكل عليه أسبابٌ أقواها[٦] أنَّ الواثقَ استوزَرَه، وغضبَ الواثقُ على أخيه المتوكِّل لشيءٍ بلغَه عنه، ووكل به عمر بن فرج الرُّخَّجِي ومحمد بن العلاء، فكانا يحفظانه، ويكتبان بأخباره في كل وقت، فصار جعفر إلى ابن الزيات يسألُه أن يكلِّم الواثقَ ليرضى عنه، فلمَّا دخلَ عليه مكثَ قائماً بين يديه مليّاً لا يكلِّمه، ثم أمره بالقعود، وكان ينظرُ في الكتب، فلَّما فرغَ التفت إليه وقال: ما الذي جاء بك؟ كالمتهدد، فقال: لتسألَ أميرَ المؤمنين أن يرضى عنِّي، فقال لمن حوله: انظروا إلى هذا، يُغضِبُ أخاه، ويسألني أنْ أسترضيَه له، اذهب، فإنَّك إذا أصلحتَ حالك رضيَ عنك، فقام المتوكِّلُ كئيباً حزيناً لما لقي منه من قبيح اللقاء والخيبة.

فأتى إلى عمر بن فرج ليسأله أنْ يختمَ له صكَّه ليقبض أرزاقه، فلقيه بالخيبة، فأخذ الصكَّ فرمى به، وكان أبو الوزير أحمد بن خالد حاضراً، فقام جعفر لينصرف وقام أبو الوزير، فقال له جعفر: يا أبا الوزير، أما ترى صنع عمر؟! فقال له: جعلت فداءك، أنا

(١) في تاريخ دمشق ٦٣/ ١٤٨: يجني.
(٢) في المصادر: بِنْتَ.
(٣) انظر القصيدة في ديوان البحتري ١/ ٦٣٢-٦٣٨، وتاريخ بغداد ٣/ ٥٩٤، والمنتظم ١١/ ١٩٨-١٩٩.
(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٥٩٤-٥٩٥، والمنتظم ١١/ ١٩٩، وتاريخ دمشق ٦٣/ ١٥١، ووفيات الأعيان ٥/ ٩٦.
(٥) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق، ومكانها في (خ) بياض.
(٦) في (خ): أحدها. والمثبت من (ف).

زِمَامٌ عليك، وليس يختمُ على أرزاقي إلَّا بالطلب، فابعث إليَّ بوكيلك، فبعث جعفر وكيلَه، فدفعَ إليه عشرين ألف درهم، وقال: أنفق هذه إلى أن يهيِّئَ الله أمرك، فأخذَها، ثم بعث بعد ذلك جعفر إلى أبي الوزير يسألُه إعانتَه فبعثَ إليه بعشرة آلاف درهم.

وبلغ الواثق فنكبَ أبا الوزير، واستأصلَه، وأخذَ أمواله.

وكان جعفر لمَّا خرجَ من عند عمر الرُّخَّجِي صار إلى أحمد بن أبي دؤاد، قام واستقبلَه وقبَّل ما بين عينيه، وقال: حاجتُك، جعلتُ فداءك؟ فقال: استرضِ أميرَ المؤمنين لي، فقالَ: أفعلُ حبّاً وكرامةً.

وأما ابنُ الزيَّات فإنَّه كتبَ إلى الواثق يقول: أتاني جعفر بن المعتصم يسألُني أن أكلِّم فيه أميرَ المؤمنين، وهو في زيِّ المخنثين، له شعرٌ على قفاه، فكتبَ إليه الواثق: ابعث إليه من يحضره، وجزَّ شعره، واضربْ به وجهَه، فدعا به، وأمر الحجَّام، فجزَّ شعره، وضرب به قفاه ووجهه[1].

قال المتوكل: وكنتُ قد لبستُ سواداً جديداً لمَّا جئتُ إليه طمعاً في الرضا عنِّي، فما دخل عليَّ شيءٌ مثلُ ما دخلَ حين أخذَ شعري على السواد الجديد.

وأما ابنُ أبي دؤاد فكلَّم الواثقَ في جعفر، فلم يرض عنه، فقال: يا أمير المؤمنين المعتصم عندي معروف، وجعفر ابنه، فبحقِّ المعتصم إلَّا رضيتَ عنه، فرضيَ عنه وكساه، فحظيَ عند المتوكل لمَّا وليَ الخلافة، ورفعَ منزلته.

ولمَّا اجتمعوا ليولُّوا خليفةً أشار ابنُ الزيات بمحمد بن الواثق، على ما ذكرنا، وتيقَّن المتوكِّلُ أنَّه أراد صرفَ الأمرِ عنه، فكان ذلك سبباً لهلاكه، فاستوزره، ولم يظهر له شيئاً حتى إذا كان يوم الأربعاء لتسع[2] خلون من صفر أمرَ إيتاخ بالقبض عليه، فأرسلَ إليه إيتاخ رسولاً، فظنَّ أنَّ المتوكِّلَ طلبَه على عادته، فركب، فلمّا حاذى دارَ إيتاخ أُنزِلَ بها، ثمَّ أُدخِلَ حجرةً، وأُخِذَ سيفُه ومِنْطَقتُه وقَلَنْسُوته ودرَّاعته، فدُفعَتْ إلى

(١) في تاريخ الطبري ٩/ ١٥٧ : فأخذه شعره وشعر قفاه وضرب به وجهه.

(٢) في تاريخ الطبري ٩/ ١٥٨، ١٦١ : لسبعٍ.

غلمانه وانصرفوا، ثم بعثَ إيتاخ إلى داره فنهبها، وأخذَ جميع ما فيها من المتاع والأثاث والدوابّ والجواري والغلمان، وبعثَ إلى داره ببغداد، فأخذَ ما فيها من مالٍ وخدم، وقبض ضياعَه وضياعَ أهل بيته وقيَّده، فامتنعَ من الطعام، وكان كثيرَ البكاء في حبسه، ثمَّ سُوهِر ومنعَ من النوم، وكان يُنْخَسُ بمسلَّة لئلَّا ينام، فأقامَ كذلك أيَّاماً، ثمَّ أَمرَ المتوكِّل بتنُّور من خشب، فيه مساميرُ من حديد، فأُدْخِل فيه، وابنُ الزيَّاتِ أوَّلُ من عملَ التنُّور وعذَّب به ابنَ أسباط المصري، حتَّى استخرجَ منه جميع ما كان عندَه، ثمَّ عُذِّبَ بالتنُّور أيَّاماً، وكان في وسط التنور خشبةٌ يجلسُ عليها المعذّبُ ليستريح، فمنعُوه من القعودِ عليها.

واختلفوا في كيفية قتلهِ، فقيل: إنه أُخْرِجَ من التنُّور فبُطِح وضُرِبَ على بطنه خمسينَ مِقْرَعة، ثم قُلِب فضربَ على أليتيه مثلَها، فماتَ وهو يضرب، ونتفوا لحيته، وعذَّبوه أشدَّ العذاب، وما أكلَ في حبسه سوى رغيفٍ أو رغيفين.

وكان يقول لنفسه: ويحك يا محمد، لم تقنعكَ الدوابُّ الفارهة، والدارُ النظيفة، والعافيةُ، حتَّى طلبتَ الوزارة، فذق وبالَ أمرك وما فعلت بنفسك، ثمَّ أخذ بعد ذلك بالتوبةِ والاستغفَارِ والذِّكر.

والأصحُّ أنَّه مات في التنُّور، ثم طُرِح على بابٍ من خشب، وسُلِّم إلى أهله فغسَّلُوه وحفروا له فلم يعمِّقوا، فذكروا أنَّ الكلاب نبشَتْهُ وأكلَته.

وقيل: إنَّ الذي تولَّى دفنَه ابناهُ عبيدُ الله وسليمان، وكانا محبوسين فأُخرِجَا فتولَّياه.

وكان قيمةُ ما قُبِضَ له تسعينَ ألف دينار[1].

وكان حبسُ المتوكِّل إيَّاه في تاسع[2] صفر، ومات في الحبس لإحدى عشرة بقيت من ربيع الأوَّل.

---

(١) انظر خبر مقتل ابن الزيات في تاريخ الطبري ٩/١٥٦-١٦١ ، والمنتظم ١١/١٩٩-٢٠٢ ، والكامل ٧/ ٣٦-٣٨ .

(٢) في تاريخ الطبري ٩/١٥٨ ، ١٦١ ، والكامل ٧/٣٨ : في سابع صفر.

وكان يقول: الرحمةُ خورٌ في الطبيعة، وما رحمتُ أحداً قطّ، فلما وُضِعَ في التنُّور كان يقول: ارحموني، فيقال له: الرحمةُ خورٌ في الطبيعة، أنسيت قولكَ: ما رحمت أحداً قط[١].

وقال أحمد بن الأحول[٢]: لمَّا قُبِضَ على ابن الزيَّات تلطَّفتُ حتى دخلتُ عليه، فرأيتُه في حديدٍ ثقيل، فقلت له: يعزُّ علي ما أرى، فقال: [من الرمل]

سلْ ديارَ الحيِّ ما غيَّرها ... وعفاها ومحا منظرَها
وهي الدُّنيا إذا ما انقلبتْ ... صيَّرت معروفَها منكرَها
إنَّما الدُّنيا كظلٍّ زائلٍ ... نحمدُ الله كذا قدَّرَها[٣]

ولما أُلقي في التنُّور كتبَ بفحمة: [من مجزوء الرمل]

مَنْ له عهدٌ بنومِ ... يرشدُ الصَّبَّ إليهِ
رحمَ الله رحيماً ... دلَّ عينيَّ عليهِ
سهرتْ عيني ونامتْ ... عينُ من هُنْتُ عليهِ[٤]

وحكى المسعوديُّ أنَّه طلبَ دواةً وورقةً بيضاء، فاستأذنَ الموكَّلون فيه المتوكل، فقال: اعطوه، فأتوه بهما فكتب: [من البسيط]

هو السبيل فمن يومٍ إلى يوم ... كأنَّه ما تُريكَ العينُ في النومِ
لا تجزعنَّ رويداً إنَّها دولٌ ... دنيا تنقَّل من قومٍ إلى قومِ

وبعثَ بها إلى المتوكل، فأمر بإطلاقِه، فوجدوه قد مات[٥].

وابنُ الزيَّات هو الذي كتبَ إليه الحسنُ بن وهب وقَد دام المطرُ أيَّاماً: [من الخفيف]

---

(١) انظر المنتظم ١١/ ٢٠١ ، ووفيات الأعيان ٥/ ١٠٠ ، والوافي بالوفيات ٤/ ٣٢-٣٣ .
(٢) كذا في (خ) و(ف). وفي المصادر: أحمد الأحول.
(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٥٩٥ ، وتاريخ دمشق ٦٣/ ١٥٤ ، ووفيات الأعيان ٥/ ١٠١ .
(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٥٩٥-٥٩٦ ، وتاريخ دمشق ٦٣/ ١٥٤ ، ووفيات الأعيان ٥/ ١٠٠-١٠١ .
(٥) مروج الذهب ٧/ ١٩٥ .

أوجَب العُذْرَ في تراخي اللقاء ... ما أتانا من هذه الأنواءِ
لستُ أدري ماذا أقولُ فأشكو ... من سماءٍ تعيقُني عن سماءِ
غير أنِّي أدعو لهاتيك بالصَّحـ ... ـوِ[1] وأدعو لهذه بالبقاءِ
فسلامُ الإله أهديهِ منِّي ... كلَّ يومٍ لسيِّدِ الوزراءِ

يحيى بن معين

ابن عون بن زياد بن بِسْطام. وقيل: معين بن غياث بن زياد بن عون[2] بن بِسطام، أبو زكريا، الحافظُ البغداديُّ، مولى الجنيدِ بن عبد الرحمن بن المُرِّي الغطفاني، وأصلُه من الأنبار، من قريةٍ يقال لها: نِقْيَا، بينها وبين بغداد اثني عشر فرسخاً، وقيل: أصله من المري[3]، فمات أبوه، وخلَّف لابنهِ يحيى ألفَ ألف درهم وخمس مئة ألف درهم[4]، فأنفقَ الكلَّ على أصحاب الحديث، حتى لم يبقَ له نعلٌ يلبسُه.

وكان عالماً متقناً عارفاً بالجرح والتعديل، كتبَ ألف ألف حديث، وكانت كتبُه مئة قمطر وعشرين حُبّاً.

وكان الإمامُ أحمد يعظِّمُ شأنَه، وما سمَّاه قطُّ باسمِه، بل بكنيته[5]، ويقول: كلُّ حديثٍ لا يعرفُه أبو زكريا، فليس بحديث.

---

(١) في العقد الفريد ٣/ ١٩٤ ، ٤/ ٢٢٧ : بالثكل.

(٢) في (خ) و(ف): عمرو. والتصويب من تاريخ بغداد ١٦/ ٢٦٣ ، والمنتظم ١١/ ٢٠٢ ، وتهذيب الكمال ٣١/ ٥٤٤ ، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٧١ وغيرها.

(٣) كذا في (خ) و(ف). ولم أقف على هذا القول. لكن وقع في تاريخ بغداد ١٦/ ٢٦٥، والمنتظم ١١/ ٢٠٣ : كان مَعين على خراج الرَّيّ، فمات فخلف لابنه....

(٤) كذا في (خ) و(ف) ، وفي تاريخ بغداد ١٦/ ٢٦٥ ، والمنتظم ١١/ ٢٠٣ وغيرها: وخمسين ألف درهم.

(٥) في تاريخ بغداد ١٦/ ٢٦٧ من قول عباس الدوري: قلَّما سمعت أحمد بن حنبل يسمِّي يحيى بن معين باسمه، إنما كان يقول: قال أبو زكريا، قال أبو زكريا. وقيل نحوها في حق عليّ بن المديني، قال أبو حاتم الرازي: وكان أحمد لا يسميه إنما يكنيه تبجيلاً له، وما سمعت أحمد سماه قط. الجرح والتعديل ٦/ ١٩٤، وسيأتي في ترجمة علي بن المديني.

وقال عبدُ الله ابنُ الإمام أحمد[١]: حجَّ ابنُ معين، فزار قبرَ النبيِّ ﷺ، ثمّ خرجَ فبات بظاهر المدينة، فرأى النبي ﷺ في المنام وهو يقول: يا أبا زكريا، أرغبت عن جواري[٢]؟ فقال لرفقائه: اذهبوا فإنّي راجعٌ إلى المدينة.

وقال محمد بن إسماعيل البخاري[٣]: كنتُ معه في تلك السفرة، فدخلَ المدينة فأقامَ بها ثلاثاً[٤]، فمرض وماتَ ليلة الجمعة في ذي القعدة، فاجتمعَ الناس، فقال بنو هاشم: لا نغسِّله إلَّا على الأعواد التي غُسِّل عليها رسول الله ﷺ؛ لأنَّه نفى الكذب عنه، وأخرجوه إلى البقيع، ونادى منادٍ بين يديه: هذا الذي نَفى الكذبَ عن رسول الله ﷺ، إلى أنْ وصلَ إلى قبره، وكان قد بلغ سبعاً وسبعين سنةً.

ورَثَاهُ بعضُ المحدثين فقال: [من الكامل]

ذهبَ العليمُ بعيبِ كلِّ محدِّثٍ ... وبكلِّ مختلفٍ من الإسنادِ

وبكلِّ وَهْمٍ في الحديث ومشكلٍ ... يعني به علماءُ كلِّ بلادِ[٥]

وقال بعضُ المحدثين: رأى رجلٌ من أهل المدينة في منامه رسولَ الله ﷺ وأصحابَه وهم مجتمعين في الروضة، فقال: ما بالكم؟ فقال النبيُّ ﷺ: جئنَا نحضرُ جنازةَ هذا الرجل الذي كان ينفي الكذبَ عنِّي.

وقال حُبيش بن مبشِّر: رأيتُ يحيى بن معين تلكَ الليلة في النوم، وعلى رأسهِ تاجٌ، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: أدخلني عليه في داره، وزوَّجني ثلاثَ مئة حورية، ثم

---

(١) لم أقف على هذا الخبر عن عبد الله ابن الإمام أحمد، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ١٦/ ٢٧٤ من قول حبيش بن مبشِّر، فقال الخطيب بعده: الصحيح أن يحيى توفي في ذهابه قبل أن يحجّ.

(٢) في (خ) و(ف): في. والمثبت من المصادر.

(٣) كذا في (خ) و(ف). وهو خطأ. والصواب ـ كما في تاريخ دمشق ١٨/ ٢٠٤، وتهذيب الكمال ٣١/ ٥٦٦، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٩٠ـ: محمد بن يوسف البخاري والد أبي ذر.

(٤) في المصادر المذكورة أنه دخل المدينة ليلة الجمعة ومات من ليلته، لكن وقع في رواية حبيش بن مبشر ـ ستأتي ـ أنه أقام بها ثلاثاً ثم مات.

(٥) تاريخ بغداد ١٦/ ٢٧٥.

قال: انظروا إلى عبدي، كيف تطرَّى وحَسُن[١].

سافر ابنُ معين إلى الآفاق، ودخل الأمصار، وسمع خلقاً لا يحصون، منهم ابنُ عيينة، وابن المبارك، ويحيى بن سعيد القطَّان، وغيرهم. وروى عنه زهيرُ بن حرب، والبخاريُّ، ومسلم في آخرين.

واتَّفقوا على صدقه وثقته، إلَّا [ما روى] إبراهيم بن هانئ [قال: رأيت أبا داود][٢] يقعُ في ابنِ معين، فقلتُ له: في مثلِ ابن معين؟! فقال: نعم، من جرَّ ذيولَ الناس جرُّوا ذيله. يعني أنَّه جرحَ الشيوخ.

(١) في (خ) و(ف): نظر فأحسن. والمثبت من تاريخ بغداد ١٦/ ٢٧٦.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. انظر تهذيب الكمال ٣١/ ٥٦٤.

obeikandl.com